عجمة الالتباس*

ساره غراي توماسون Sarah Grey Thomason
ترجمة الأستاذ الدكتور/ عواد أحمد الأحمدي

رئيس اللجنة الفنية لمشروع خادم الحرمين للترجمة الفورية *لخطب الحرمين الشريفين*

cawwad_2008@yahoo.com

1. المقدمة. يقترن مفهوم *عجمة الالتباس* بشكل وثيق بأيان ستيفنسون Ian Stevenson أستاذ كرسي كالرسون لطب الأمراض النفسية في كلية الطب بجامعة فيرجينيا والذي قام بنشر تحليلات مستفيضة لعدد موثق بشكل استثنائي من الحالات المزعومة لهذه الظاهرة. ويعرف ستيفنسون عجمة الالتباس بأنها "التحدث بلغة حية غير معروفة تماماً [للمتحدث بها] في حالته العادية" (197، 1). ويذكر أن ريشيه Richet (1905-1907) كان أول من صاغ هذا المصطلح. وبحسب ستيفنسون (انظر على وجه الخصوص الدراسة الاستقصائية الموجودة في كتابه عام 1974م) فإن هنالك العديد من التقارير المنشورة لحالات من عجمة الالتباس ولكن غالبيتها يحوي النزر القليل من المعلومات مما لا يتيح اختبار صحتها.

* بادئ ذي بدء أوجه شكري وتقديري للدكتورة / ساره للسماح بترجمة هذا البحث وجعله في متناول يد القارئ العربي. المقصود بالعجمة هنا استعصاء اللفظ على الفهم. وهي على ضربين: الأول: عجمة الالتباس Xenoglossy وتحدث عند التباس العالم الموازي بالحس والتلفظ بأنواع من الكلام من لغة لا يعرف المتلفظ بزعمهم منها حرفاً واحداً كما في كلام الجني على لسان المصروع أو في حالات التنويم الإيحائي. وهنالك عدة دراسات غربية توثق لعجمة الالتباس للاستدلال بها على تناسخ الأرواح وهذا ما يدحضه هذا البحث بالحجة والبرهان. الثاني: عجمة التلبس Glossolalia وهي عجمة تعود للتلبس بالزار على سبيل المثال أو التلبس بحالة دينية كما يشاع حدوثه عند بعض أتباع الخمسينيين البروتستانت. ولكن هذه العجمة مردها ما يطرأ من تغيير في بناء المفردات وخلل في بناء الجملة النحوية على الرغم من موافقته لقواعد اللغة سواءً من جهة البناء الصوتي أو التشكيل الصوتي لتلك المفردات أو الجمل. وعلى الرغم من دراسة العجمة بشقيها في الغرب وتوثيقها وإخضاعها للدراسة العلمية المتأنية إلا أنه ليس هنالك، على حد علمي، أي دراسات عربية تستقصي الحجج وتأصل للعجمة بنوعيها سواءً مسألة كلام الجني على لسان المصروع أو في حالات الزار. وهذه دعوة لجميع المهتمين بدراسة الظواهر اللغوية ودراسة الخوارق من علماء النفس لدراسة الظاهرتين وتأصيلهما تأصيلاً علميا وضبطهما وتوثيق تلك المشاهدات كي ينعقد بهما اعتقاد صحيح وذلك بترسم خطى هذا البحث الذي بين أيدينا والذي تخصصه الكاتبة للحديث عن عجمة الالتباس (المترجم).

ويذهب ستيفنسون إلى أن ثمة فارق جوهري بين ما أسماه *عجمة الالتباس السردية recitative xenoglossy* و*عجمة الالتباس التجاوبية responsive xenoglossy*. ففي عجمة الالتباس السردية يتلفظ الأعجم بـ "عبارات وأحياناً مقاطع أطول بلغة أجنبية غالباً ما يتعلمها مبكراً في حياته دون القدرة على التحدث بها" (1974، 2)، "وغالباً ما يظهر الأعجم ذلك في ذاكرة التكرار المرتبطة بالترديد والحفظ عن ظهر قلب لا غير" (المرجع نفسه، 5) وقد لا يفهم الأعجم من هتامات تلك اللغة الغريبة شيئاً البتة. ومن الواضح أن عجمة الالتباس السردية لا تندرج بالفعل ضمن تعريف عجمة الالتباس لأنه ـــ وعلى الرغم من أن الأعجم قد يكون نسي غالبية ما تعلمه من تلك اللغة بعد أن انقطع سنوات عدة عن استخدامها فإنها ـــ قلما تعد لغة غير معروفة له بشكل تام.

وعلى النقيض من ذلك فإن باستطاعة الأعجم في عجمة الالتباس التجاوبية "التحدث باللغة الأجنبية بفطنة (المرجع نفسه)". ومن منظور ستيفنسون فإن أهمية هذا المعيار تكمن في أن "بإمكان المرء ان يكتسب القدرة على استخدام اللغة بشكل تجاوبي باستخدامها فقط وليس بالاستماع إلى كلامها المنطوق" (1984، 160). إن وصف مفهوم "التحدث بفطنة" على وجه الدقة أمر متيسر على نحو أقل مما يعتقده ستيفنسون؛ ولذا فإن من الصعوبة بمكان اختبار هذه المقدرة. بيد أن ستيفنسون وضع في اعتباره أن الأعجم يجب أن يكون قادراً على فهم الأسئلة التي تطرح باللغة الأجنبية وإظهار ذلك بالإجابة عليها بالطريقة المناسبة. وبالنظر إلى إشكالية التعلم العادي المبكر في عجمة الالتباس السردية فليس من المستغرب أن يركز ستيفنسون أبحاثه على الحالات التجاوبية والتي يعتقد بأنها الحالات الوحيدة التي تقطع حتماً بثبوت عجمة الالتباس. وسوف أستخدم فيما تبقى من هذا المقال مصطلح "عجمة الالتباس" للإشارة بشكل حصري إلى هذا النوع من الحالات.

والفكرة التي يطرحها ستيفنسون لتعليل حالات عجمة الالتباس التي ينظر إليها على أنها حقيقية هي أن "(بإمكان) شخص نجا من الموت التحدث من خلال هيئة جسد

آخر ——سواء من خلال تناسخ الأرواح أو من خلال المس العارض——بلغة قد تعلمها في فترة حياته السابقة" (1984،166). ويقول إنه لا يمكنه "الاختيار بين فرضية المس وفرضية تناسخ الأرواح" في حالة جنسن Jensen على سبيل المثال (1974،84). ففي تلك الحالة فضل في البداية تناسخ الأرواح تفسيراً راجحاً لها، ولكنه تحول بعدها إلى المس بدون معرفة سبب ذلك بالتحديد (المرجع نفسه). وعلى وجه العموم فإنه يتوخى الحذر في مزاعمه بخصوص تناسخ الأرواح: فالعبارة التي تتكرر في العديد من كتاباته هي "حالات ذات صلة بتناسخ الأرواح." انظر على سبيل المثال مقالات مثل " تقرير أولي حول حالة غير مألوفة ذات صلة بتناسخ الأرواح لعجمة الالتباس" (*مجلة الجمعية الأمريكية للبحث النفسي* 74 (1980) 331-48) وكتب تحمل عناوين مثل *حالات ذات صلة بتناسخ الأرواح* (المجلد الأول، *عشر حالات في الهند* [شارلوتفيل، مطبعة جامعة فيرجينيا 1975]). إن العثور على حجج تدعم مزاعم تناسخ الأرواح هو هدف رئيس له، وهو محق في قناعته بأن توثيق حالة فعلية لعجمة الالتباس كفيل بإقناع المشككين بضرورة إعطائها تفسيراً خارقاً بعض الشيء.

وفي الأقسام التالية سوف أضع أولاً الخطوط العريضة لعدد من دراسات الحالة: الأمثلة الرئيسية لستيفنسون——حالة جنسن Jensen، وحالة غريتشن Gretchen، وحالة شارادا Sharada——وثلاث حالات أقل تعقيداً عرضها أخصائي تنويم إيحائي من مدينة بيتسبيرج ("دراسات الحالة"). ثم سوف انظر في القسم الثالث فيما إذا كانت هنالك حاجة لتفسير خارق لأي من تلك الحالات. وسوف تكون قناعتي أنه ولئن كان بالإمكان استبعاد التدليس في جميع تلك الحالات فإن الحجة اللغوية ضعيفة للغاية لدعم المزاعم والادعاءات المتعلقة بعجمة الالتباس. ولما كان من شأن المناقشة المستفيضة لعجمة الالتباس أن تشمل الظواهر اللغوية المتصلة بها مثل عجمة التلبس glossolalia (التحدث بلغات في سياق ديني، انظر سامارين Samarin 1972) واللكنات شبه الأجنبية في كلام "الكيانات" الملتقطة من خلال الوسائط الروحانية العصرية أو

الوسطاء الروحانيين (انظر توماسون Thomason 1989) إلا أن حدود الدراسة تحول دون التوسع في ادراج هذه الموضوعات هنا.

2. دراسات الحالة. يستهل ستيفنسون كتابه المنشور عام (1974) بتقصي عدة حالات لعجمة الالتباس وردت في المصنفات العلمية، ولكنه لا يقدم شيئاً ذا وزن لدعم صحتها؛ لشعوره بعدم توافر معلومات كافية تسمح بإخضاعها لاختبارات صارمة. وعوضاً لذلك فإن كتابه المنشور عام 1974 وكتابه المنشور عام 1984 يتمحور كل واحد منهما حول ثلاث حالات لعجمة الالتباس التجاوبية يمكن إخضاعها لاختبار جاد. سوف أتناول دراسة الحالة الأولى بشيء من الإسهاب، ومن ثم أوجز الكلام في الحالتين اللتين تناولهما في كتابه عام 1984 وذلك لتشابه النمط السائد للتحقيقات والتحليلات في كلتا الحالتين.

تتمثل دراسة الحالة لعام 1974 في جنسن جاكوبي Jensen Jacoby "عارض" ذكر تحدث على لسان ربة منزل أمريكية تبلغ من العمر سبعاً وثلاثين عاماً تحت تأثير التنويم الإيحائي، وقد رمز إلى اسمها كـ تي إي TE. (الخطوط العريضة لهذه الحالة الواردة هنا مستقاة من ستيفنسون 1974.) ظهر جنسن في ثمان جلسات تنويم إيحائي جميعها خلال العام الممتد بين 1955 – 1956 باستخدام أسلوب استرجاع الذاكرة المعروف بالنكوص العمري التنويمي الذي يفترض أن يرجع تي إي إلى مراحل أبكر من حياتها السابقة كجنسن الفلاح السويدي. خلال تلك الجلسات سئل جنسن أولاً باللغة الإنجليزية وبعد ذلك باللغة السويدية بخصوص حياته فأجاب باللغة الإنجليزية على الأسئلة التي طرحت باللغة الإنجليزية وأجاب باللغة السويدية على الأسئلة التي طرحت باللغة السويدية (على الرغم من أن بعض الأسئلة قد طرحت عليه أولاً باللغة السويدية ثم لما بدأ أنه لا يفهمها طرحت عليه باللغة الإنجليزية). كان إخصائي التنويم الإيحائي هو زوج تي إي.

ولدت تي إي وترعرعت في مدينة فيلادلفيا. وكان أبواها المهاجران يتحدثان في داخل المنزل عندما كانت صغيرة باللغة الإنجليزية وباللغة البولندية وباللغة اليديدية وباللغة الروسية. ولم تتلق أي تعليم منتظم في اللغة السويدية أو أي لغة اسكندنافية أخرى، وتمثلت خبرتها الملموسة في اللغة السويدية— على قدر ما تتذكر— في بضعة جمل سويدية قيلت ضمن سلسلة من التمثيليات التليفزيونية حول حياة الأمريكيين ذوي الأصول السويدية التي شاهدتها بضع سنوات قبل عام 1955م والتي تذكرتها بشكل جيد.

وللتحقيق في حالة جنسن قام ستيفنسون بإجراءات استثنائية لاستبعاد أي إمكانية تفسير لتحدثه باللغة السويدية مبني على التدليس أو إغفال للخبرات السابقة لتعلمه اللغة السويدية أو أي لغات إسكندنافية أخرى. فقد أخضع تي إي لاختبارين من اختبارات الكشف عن الكذب، واختبار تداعي الكلمات، وكذلك لاختبار قدرات اللغة كما انتزع من تي إي وزوجها وأقاربها ومعارفها الآخرين إقرارات موقعة يشهدون فيها على عدم وجود معارف لها من الإسكندنافيين، وعلى عدم معرفتها باللغات الإسكندنافية. كما أثبت أنه لم يتم تدريس أي لغة إسكندنافية في المدارس التي تلقت فيها تعليمها، وأنه لا توجد أي فترة في حياتها قد تكون تعلمت فيها اللغة السويدية سراً دون علم زوجها وأقاربها الآخرين وما إلى ذلك. وفي حقيقة الأمر كان ستيفنسون متحمساً للغاية في الجهود التي بذلها لاستبعاد التدليس تفسيراً محتملاً. وقد خلص إلى أن "القدرة على التحدث باللغة السويدية في هذه الحالة كما فعلت العجماء تي إي لم يتم بصورة طبيعية" (1974، 71). وما قدمه ستيفنسون على عدم وجود أي تدليس في هذه الحالة مقنع بيد أن زعمه أن جنسن لديه القدرة على التحدث باللغة السويدية *لم يكن كذلك*.

وكما يقر ستيفنسون فإن لغة جنسن السويدية ليست بتلك الدرجة من الطلاقة والتمكن. فأولاً: في المقابلة التي استقصاها ستيفنسون بشكل مكثف (وهي الجلسة السابعة) لم يستخدم جنسن سوى حوالي ستين كلمة فقط بشكل عفوي (أي قبل أن يستخدم المتحاورون معه باللغة السويدية تلك الكلمات) ووفقاً لأحد مستشاري

ستيفنسون فإن استبعاد الكلمات ذات الأصل المشترك مع اللغة الإنجليزية واللغة الألمانية أو اللغة اليديدية يقلص هذا العدد إلى إحدى وثلاثين كلمة مفهومة (المرجع نفسه). ثانياً: في هذه المقابلة بلغ إجمالي حصيلة جنسن اللغوية من اللغة السويدية ما يقارب المئة كلمة. وهذا عدد غير كبير إذا ما قورن بآلاف الكلمات التي يلم بها ابن لغة طبيعية معينة حتى مع أخذ السياق المحدود لتحدث جنسن باللغة السويدية في الاعتبار. ثالثاً: قلما يجيب جنسن على الأسئلة باستخدام جمل كاملة ففي التفريغ النصي الكامل للجلسة السابعة والمدرج كملحق في كتابه عام 1974م كانت الغالبية العظمى لإجابات جنسن عبارات مكونة من كلمة أو كلمتين مع عدم وجود أي جمل مركبة البتة.

وتتفاوت الآراء حول جودة نطق جنسن للغة السويدية. فمن ناحية يثني اثنان من مستشاري ستيفنسون على لكنة جنسن السويدية ويقول أحدهما إن ابن اللغة السويدية فقط بإمكانه نطق كلمة "سبعة" بشكل سليم كما يفعل جنسن (المرجع نفسه 38،37). ويأخذ ستيفنسون هذه الآراء كحجة على "تفوق اللكنة السويدية في بعض المواضع على الأقل" (المرجع نفسه، 66). وعلى النقيض من ذلك يشير ستيفنسون في موضع آخر إلى "الخصائص المميزة لطريقة نطق جنسن وبالأخص عادته في إضافة صائت في نهاية الكلمات المنتهية بصامت" (المرجع نفسه، 96) ويقر بأن التفريغ النصي للمقابلات "وفق قواعد الإملاء الصحيحة للغة السويدية" يضفي غموضاً على أخطاء نطق جنسن.

يجب أن تؤخذ في الحسبان أيضاً جوانب أخرى تثير الدهشة تتعلق بملكة جنسن اللغوية (بافتراض أنه ابن اللغة السويدية أو كان يوماً ما ابنها). فقد قام عدد من إخصائي البحوث الروحانية ممن يتقنون اللغة السويدية و/أو اللغة النرويجية بإجراء مقابلات مع تي إي عندما كان يظهر عليها "عارض" جنسن وهي تحت تأثير التنويم الإيحائي واتفقوا على أن لغة جنسن السويدية اختلطت بشيء من اللغة النرويجية. ويفترض ستيفنسون إلى أن ذلك يعود إلى أن والدة جنسن كانت نرويجية. وإضافة إلى ذلك فإن جنسن يتحدث اللغة الإنجليزية وهذا يدل من وجهة نظر ستيفنسون على أن جنسن لا بد وأن عاش في

القرن السابع عشر وهاجر إلى مستعمرة السويد الجديدة في أمريكا الشمالية حيث تعلم اللغة الإنجليزية. وهنالك مقترحات مماثلة قيل إنها تفسر تمازج اللهجات السويدية الذي يظهر في حديث جنسن.

وعلى الرغم من جميع مشاكل لغة جنسن السويدية فإن ستيفنسون يخلص إلى القول بأنه "مما لا جدال فيه" أن "الأعجم تحدث بشكل مفهوم بلغة سويدية ذات لكنة ممتازة (في بعض المواقع) وبحصيلة لغوية مقبولة" (المرجع نفسه، 71). وهو بهذا الاستنتاج يشدد على أنه لكي يتحدث المرء بلغة ما يجب عليه التدرب عليها فليس من الممكن أن يتحدث بها بمجرد حفظ بعض الكلمات والعبارات.

ويشتمل كتاب ستيفنسون عام 1984 على دراستي حالة إحداهما حالة غريتشن والأخرى شارادا. وغريتشن "عارض" ظهر أثناء جلسات تنويم إيحائي وقعت بين عام 1970 و1974 على لسان ربة منزل أمريكية تدعى دولوريس جاي Dolores Jay. ومثلها مثل تي إي فقد اقتصر إلمام جاي السابق (مما تجود به الذاكرة) باللغة الألمانية على برامج تليفزيونية ونظرة ألقتها على كتاب باللغة الألمانية. وكما حدث في حالة جنسن فإن أخصائي التنويم الإيحائي كان زوجها. هناك اختلاف واحد بين الحالتين (إلى جانب اختلاف لغة "العارض") يتمثل في أن السيدة جاي تابعت دراسة معجم ألماني في وقت من الأوقات خلال الفترة المعينة في إطار جهودها الرامية إلى تعلم ما يكفي من اللغة الألمانية لإسعاد زوجها المريض خلال جلسات التنويم الإيحائي اللاحقة. بيد أن ستيفنسون يشير إلى أن السيدة جاي تلفظت بمئتين وست كلمات بشكل عفوي قبل هذه الواقعة (48،1984). وقد بذل ستيفنسون في هذه الحالة أيضاً جهوداً كبيرةً لاستبعاد التدليس تفسيراً محتملاً لأدائها اللغوي. وما خلص إليه من عدم وجود تدليس مقنع في كلتا الحالتين وإن كانت رغبة كليهما في إسعاد زوجيهما بإظهار "عارض" أجنبي هي التي شجعتهما على أن يوليا اهتماماً خاصاً بأي عبارات سويدية أو ألمانية صادفتهما في طريقيهما.

يتماثل أداء غريتشن اللغوي من الناحية النوعية مع أداء جنسن. ويعرض ستيفنسون في ملحق من ملاحق كتابه (1984، 169-203) مقتطفات من تفريغات نصية لجلسات مع غريتشن (169) تتألف من أسئلة من قابلوها وإجابات غريتشن عليها. وقد اقتصرت إجاباتها إلى حد كبير على ألفاظ مكونة من كلمة أو كلمتين، وكثير منها مجرد تكرار لأسئلة من قابلها (ولكن بتغيير تنغيم الجمل من استفهام إلى تقرير). وحصيلة غريتشن اللغوية في الألمانية صغيرة جداً ونطقها يعاني حالة من التذبذب. فعلى سبيل المثال الكلمة التي تستخدمها للون الأزرق هي *blü* ——وهي بالتأكيد الكلمة الإنجليزية مع إبدال صائتها الألماني [ü] مكان الصائت الإنجليزي وهذا ليس نطقها في الألمانية فهي تنطق بصائت ثنائي على وزن الكلمة الإنجليزية "*cow*". ويبدو أن بعض نطقها يتأثر بطرق التهجئة الألمانية بدلاً من تأثره بأصوات اللغة الألمانية فعلى سبيل المثال يقول ستيفنسون إنها تنطق الكلمة الألمانية *schön* "جميل" بإمالة صائت الضمة كما في نطق الكلمة الإنجليزية shown وليس كما يتوقع المرء بإكساب الصائت الألماني [ö] طابعاً إنجليزياً بنطقه بإمالة صائت الكسرة ——كما في الكلمة الإنجليزية *Schane* أو الكلمة الإنجليزية *shern* .

وخلافاً لجنسن الذي يتحدث اللغة الإنجليزية بالإضافة إلى اللغة السويدية (مع خلطها باللغة النرويجية) فإن غريتشن تتحدث اللغة الألمانية فقط. ومن الواضح أنها رغم ذلك تفهم اللغة الإنجليزية لأن باستطاعتها "أن تجيب باللغة الألمانية على الأسئلة التي تطرح عليها باللغة الإنجليزية وباللغة الألمانية " (المرجع السابق 32). ولكنها بالتأكيد تستخدم كلمة إنجليزية في بعض الأحيان، على سبيل المثال *schicken* للإشارة إلى كلمة "دجاجة" (المرجع السابق). ولا يقدم ستيفنسون تفسيراً لقدرة غريتشن على فهم اللغة الإنجليزية أو لمعرفتها لبعض كلمات اللغة الإنجليزية ولعل ذلك يعود إلى عدم وجود نظير مقبول هنا لتفسيره لإنجليزية جنسن بهجرته إلى مستوطنة السويد الجديدة.

وتقول غريتشن إنها أمية (المرجع السابق،40) ولكنها في أحد المرات كتبت حوالي أربعين كلمة باللغة الألمانية (43) (البعض منها مكرر) بها أخطاء إملائية وهذا ما يتوقعه المرء من متحدثة باللغة الإنجليزية لم تتعلم سوى القليل من اللغة الألمانية.

وفي حالة غريتشن أيضاً فإن ستيفنسون على قناعة بوجود حاجة لتفسير خارق لأداء العجماء اللغوي. ويقول في رد على انتقادات وجهت لحالة غريتشن "باستطاعة امرِئٍ أن يتعلم بشكل عرضي قليلاً من اللغة الألمانية ولكن ليس بالقدر —على صغر حجمه— الذي عرفته غريتشن" (جاء ذلك في رسالة وجهها إلى رئيس تحرير مجلة علم نفس الخوارق، العدد 51 [1987] :373).

وتختلف حالة شارادا بصورة ملحوظة عن حالتي جنسن وغريتشن. فأولاً هذه العجماء —وهي امرأة هندية تدعى اوتارا هودر (ومن الآن وصاعداً سوف يرمز إلى اسمها بـ ا ه) والمولودة في عام 1941 تتحدث اللغة المهراتية لغتها الوطنية— لم تكن تحت التنويم الإيحائي بل ظهر عليها "عارض" شارادا "بصورة تلقائية مع أنه ومن شبه المؤكد أنها ..... كانت أول مرة لظهوره في حالة الوعي الموازي" (ستيفنسون 1984، 73). ثانياً أن "عارض" شارادا على عكس "عارض" جنسن وغريتشن يتحدث بما يفترض أنه لغتها الأم اللغة البنغالية بطلاقة نسبياً وكثيراً ما يستخدم جملا طويلة وتامة (المرجع السابق). بالإضافة إلى ذلك يزعم ستيفنسون (مجدداً على النقيض من حالتي جنسن وغريتشن) " أن عدداً لا يستهان به من إفادات شارادا تم التحقق منه وأن عائلة تربطها بهم علاقة تم تعقب آثارها في جزء من إقليم البنغال حيث قالت إنها عاشت" (المرجع السابق). ومن المؤكد أن شارادا تحدثت عن حياتها بصورة واضحة، وكان حديثها عن حياتها زاخرا بالمعلومات مقارنة بجنسن وغريتشن على حد سواء.

ظهرت شارادا أول مرة في عام 1974 متحدثة باللغة البنغالية ومرتدية ملابس بنغالية لا تتناسب مع ملابس ولايتها الأصلية (ماهارشترا) وكان ذلك في مستشفى حيث كانت (ا ه) تتلقى العلاج من مرض نفسي. وافترض ستيفنسون أنها عاشت في القرن

التاسع عشر وذلك وفق تقديرات اعتمدت بصورة جزئية على جهلها بأشياء عصرية مثل القطارات وأقلام الحبر (106). استمر ظهور "عارض" شارادا حتى عام 1976 حيث كان يظهر حوالي مرتين شهرياً في فترات متفاوتة إلى أن قل عددها وقصرت مدتها.

كان لدى (ا ه) منذ زمن طويل "اهتمام خاص بالبنغال والبنغاليين" (المرجع السابق، 81) وكذلك كان لدى أبيها ذات الاهتمام. ومع ذلك وعلى حد قول ستيفنسون فإن العائلة لا تعرف اللغة البنغالية وليس لها أي علاقات تربطها بالبنغال. مدينة ناغبور Nagpur التي عاشت فيها (ا ه) جل حياتها يتواجد بها عشرة آلاف بنغالي من مجموع السكان البالغ عددهم المليون نسمة (137) لذا كان بوسعها أن تتواصل مع متحدثي اللغة البنغالية إبان حياتها الراهنة. ولقد أخذت بعض الدروس في تعلم القراءة باللغة البنغالية(139) وهذه كانت مهمة سهلة لـ (ا ه) لأنها كانت تعرف كتابة ذات صلة بلغتها ألا وهي اللغة المهراتية. كما أنها درست اللغة السنسكريتية التي ساعدت على صعيد تعلمها التحدث باللغة البنغالية وعلى صعيد القراءة بتلك اللغة. يمكن أيضاً تفسير معرفة (ا ه) للبنغال بالوسائل العادية حيث قرأت ترجمات لروايات كتبت باللغة البنغالية (143).

وكما هو الحال في حالتي جنسن وشارادا فقد توسع ستيفنسون في التحقق من احتمالات إعطاء تفسير للغة البنغالية التي تحدثت بها شارادا بطريقة عادية (مقابل تفسير خارق للعادة). ومع ذلك لم يركز في هذه الحالة على احتمال التدليس ربما لأن الوسائل العادية لتعلم (ا ه) اللغة البنغالية كانت متاحة لها بصورة جلية معظم سنوات حياتها قبل أن يظهر عليها "عارض" شارادا. ولم يوافقه الرأي خبراء يتحدثون اللغة البنغالية ممن استشارهم بشأن ملكة شارادا اللغوية. فعلى سبيل المثال قال الدكتور روي Roy أن شارادا "كانت متقنة للغة البنغالية اتقانا تاما" (120) وقد اتفق معه في ذلك البروفسور بال Pal (121). وعلى النقيض من ذلك قال م س بهاتشاريا M.C. Bhattacharya إنه "على الرغم من قدرة شارادا على التحدث باللغة البنغالية بفطنة إلا أنها لا تتحدثها بطلاقة وفي بعض الأحيان لا ينطلق لسانها بها" (120). وقد تكرر هذا الرأي

على لسان رانجان بورّا Ranjan Borra الذي أضاف أن لكنتها البنغالية "لم تكن بالتأكيد لكنة ابن اللغة.....[بل] كانت لكنة شخص من غير أهلها ممن تعلم التحدث باللغة البنغالية بعد اجتياز مرحلة الطفولة" (122). بل إن روي علق قائلا بأن نطقها للغة البنغالية لم يكن جيدا (124).

ومع هذا فمن الأرجح أن الأهم من ذلك كله هو تقييم البرفسور سيسر كومار داس Sisr Kumar Das أستاذ كرسي تاغور Tagore للغة البنغالية في جامعة دلهي (126) وهو "اللغوي الوحيد من ذوي الدربة" من بين أبناء اللغة البنغالية الذين درسوا لغة شارادا البنغالية (133). فقد خلص إلى أن لغتها البنغالية كانت مكتسبة ولم تتحدثها بطلاقة، وأن لكنتها أجنبية، وأن لغتها البنغالية تمثل لهجة دون الفصحى من لهجات غرب البنغال (127) وأنها تحدثت ضربا غير أصلي من اللغة البنغالية في القرن العشرين —وبالتأكيد ليس من ضروب اللغة البنغالية السائد في القرن التاسع عشر— وأن خلاصة القول هو أن لغتها البنغالية "تشبه لغة شخص اكتسبها لغة ثانية ولكن ليس بشكل متقن" (132). ويعرض ستيفنسون شهادة البرفسور داس بشكل كامل، ولكنه يبين أنه وبسبب حوارات داس المقتضبة مع شارادا فلربما لم يكن لديها الوقت الكافي "للتمهيد" للتحدث إليه، وأنها بالتالي لم تبرز صورة الوجه الأمثل لمهارات تحدثها باللغة البنغالية" (133). وعلى نفس المنوال يدفع بأن نطق شارادا للغة البنغالية المشوب بتأثيرات اللغة المهراتية ربما أمكن تفسيره بحاجتها للتحدث على لسان (ا ه). ولم تكن شهادة البرفسور داس أو اهتمام (ا ه) البالغ بالبنغال والبنغاليين ليزعزع إيمان ستيفنسون بالطابع الخارق للغة شارادا البنغالية.

وتختلف دراسة حالة شارادا عن حالتي جنسن وغريتشن في جانب آخر مهم فستيفنسون يعرض تفريغات نصية للمحادثات الفعلية التي دارت بين الأعجمَين ومن قابلهم ولكنه في حالة شارادا لا يعطي سوى بضع مقتطفات من ترجمات إنجليزية للمقابلات (206-209). لذا لا تتوافر بيانات تتيح تقييم الحجة اللغوية الجوهرية لزعم

عجمة الالتباس. ويعرض ستيفنسون بالفعل جدولا مقتضبا به أربع وعشرون كلمة بنغالية تلفظت بها شارادا جنبا إلى جنب مع مرادفاتها في اللغة السنسكريتية واللغة البنغالية الحديثة واللغة المهراتية واللغة الهندية (128-129). ثمان كلمات منها تشابه اللغة السنسكريتية ولكنها لا تشابه اللغة البنغالية (أو ليس بشكل وثيق على الأقل) وسبع منها تشابه اللغة السنسكريتية واللغة البنغالية على حد سواء، وسبع منها تشابه اللغة البنغالية وليس اللغة السنسكريتية واثنتان منها لا تشابه أياً من اللغات الأربع بشكل وثيق (على الرغم من أن إحداها يقال بأنها من المعقول أن تكون مستقاة من لهجة بنغالية مختلفة). وليس هنالك أي كلمات مشابهة جدا للغة المهراتية أو اللغة الهندية وليست مشابهة للغة السنسكريتية و/ أو اللغة البنغالية. والكلمات التي تشابه اللغة السنسكريتية ولا تشابه اللغة البنغالية لا يشابه أي منها اللغة المهراتية أو اللغة الهندية بشكل أوثق من مشابهته اللغة البنغالية. ومن هنا فإن المحصلة النهائية أن الحجة اللغوية التي قدمها ستيفنسون غير قاطعة على الرغم من أنها تشير بالفعل إلى تعويل شارادا على تمرّن (ا ه) على اللغة السنسكريتية، وليس هنالك ما يثبت أن شارادا بنفسها درست اللغة السنسكريتية.

وثمة نقطة أخيرة ينبغي الإشارة إليها هنا وهي أن الحالات المسجلة لعجمة الالتباس والظواهر الأخرى لتناسخ الأرواح شائعة للغاية في الهند ربما بسبب التقاليد الدينية الهندية العريقة المتعلقة بتناسخ الأرواح. وعلى الرغم من أن التقاليد الهندية القديمة لتناسخ الأرواح لا تؤكد احتمال وجود ذكريات تناسخ أرواح سابقة فإن الاعتقاد السائد بوجود ذكريات من هذا النوع ليس من غير المألوف (مراسلات شخصية مع فريد كلوثي Fred Clothey، 1985). لذا فإن حالة شارادا تنسجم بوجه عام مع نمط يتكرر في أماكن أخرى من الهند.

سوف أختتم هذا الجزء بإعطاء وصف موجز لثلاث حالات مزعومة لعجمة الالتباس أقل تعقيدا من سابقاتها (انظر توماسون 1984 للاطلاع على نقاش أوفى لتلك

الحالات). ولم تلق هذه الحالات نفس القدر من الدراسة المستفيضة التي عنيت بها حالة جنسن وحالة غريتشن وحالة شارادا؛ "فالعوارض" لم تظهر سوى خلال فترات زمنية أقصر بكثير (عادة في بضع جلسات فقط). لم تبذل أي محاولة منهجية لاستبعاد التدليس كتفسير لهذه الظاهرة، فلم تثر مسألة التدليس؛ لأن الأعجمِين لم ينطقوا بكلمات للغات من الواضح أنهم يعتقدون أنهم يتحدثونها. (وانطباعي أن جميع الأعجمِين وإخصائي التنويم الإيحائي نفسه يؤمنون بصدق "العوارض" —أي أنهم يؤمنون أن الأعجمِين قد نكصوا إلى مرحلة سابقة من مراحل حياتهم وأنهم بمؤازرة أخصائي التنويم الإيحائي لهم تحدثوا لغات مراحل حياتهم السابقة). في هذه الحالات المزاعم حول عجمة الالتباس يمكن— بل وتم اختبارها— بشكل مباشر. لقد زودني أخصائي التنويم الإيحائي رالف غروسّي Ralph Grossi بتسجيلات على أشرطة وبشكل جوهري بقوائم كلمات يفترض أنها للغة عجمة الالتباس. وقد طلب مني "التحقق" من اللغات التي يتحدثها الأعجمون، وبناء على طلب مني ساهم في التقييم باستنباط كلمات (من قائمة موحدة للمفردات الاساسية) منهم بينما كانوا تحت تأثير التنويم الإيحائي.

لقد درست عجمة ثلاثة من الأعجمِين وكانوا جميعا من أبناء اللغة الإنجليزية الأمريكية. وفي الموجز التالي جميع الإشارات الواردة، هي إشارات إلى عجمتهم بينما كانوا تحت تأثير التنويم الإيحائي وعند ظهور تلك "العوارض" الأجنبية المزعومة عليهم. قالت العجماء (أ) أنها عاشت في بلغاريا في أوائل القرن التاسع عشر وأنها تحدثت اللغة البلغارية. وقد حوى كلامها المسترسل الذي كان بطيئا ولكنه كان سلسا صوتا واحدا ([خ] ، كما في نطق الكلمة الألمانية Bach) وهذا صوت ليس من أصوات اللغة الإنجليزية الوطنية كما حوى بضعة عناقيد صوتية ، على سبيل المثال [št] ، شائعة في اللغة البلغارية ولكنه ليس في اللغة الإنجليزية. ومع هذا فإن قائمة الكلمات التي قدمتها لا تحتوي على أي كلمات بلغارية على الإطلاق والبنى اللفظية التي أطلقتها على الأعداد "4"، "5"، "7"، "8"، "47"، "48"، "49"، "50" لم تظهر نمطا من النوع السائد في نظام الأعداد

العالمي (انظر توماسون 1984 للاطلاع على تحليل مفصل ونقاش أوفى). وعندما أخبرت غروسّي أن العجماء (أ) لم تتحدث اللغة البلغارية ألمح إلى أنه من الممكن أنها تحدثت لغة أخرى—الأرجح اللغة الروسية لأنها أخبرته (تحت تأثير التنويم الإيحائي) أنها قد ولدت في روسيا وانتقلت في وقت لاحق إلى بلغاريا. ولقد أصبح متشككا عندما أكدت له أن كلامها لم يكن باللغة الروسية وأنه في واقع الأمر لم يكن من لغة البشر على الإطلاق. غير أنه تجدر الإشارة إلى أنه عند سماع كلامها المسترسل للوهلة الأولى فإنه بدى بالفعل وكأنه لغة سلافية مبهمة. وعندما استمع إليه أستاذ من أساتذة اللغة السلافية لفترة وجيزة أدرك أنه ليس لغة بولندية أو لغة روسية (وهما لغتان يتحدثهما شخصيا) ولكنه ظن أنها قد تكون لغة بلغارية أو لغة من اللغات السلافية الجنوبية (واللتين لا يتحدثهما). وهذه المسألة ينبغي ألا تغيب عن بالنا عند النظر إلى تعليقات مستشاري ستيفنسون بأن جنسن خلط لغته السويدية ببعض من اللغة النرويجية.

أفاد الأعجم (ب) أنه كان في حياته السابقة يحمل لقب فارس اسمه السير غاي دو موباسان Sir Guy de Maupassant [هكذا ورد] والذي عاش في قرية شانسون Chanson في نورماندي عندما كان يرجع عهدها إلى القرن الرابع عشر. كما قال إن لغته هي اللغة الغالية، وهي ليست إلا لغة سلتية مثلها مثل اللغة الإيرلندية أو لغة الإسكتلنديين الغالية عدا أن هاتين اللغتين ليستا سائدتين في نورماندي. ولكن عجمة (ب) اصطبغت في واقع الأمر بلكنة فرنسية مميزة ذات سمات صوتية مثل الصوائت الأنفية والنبر الواقع على المقطع الأخير من الكلمة. وكما هو الحال في عجمة (أ) فإن عجمة (ب) المسترسلة استوقفت اثنين ممن يعرفون اللغة الفرنسية وبدا لهما أنها نوع من اللغة الفرنسية أو ما شابهها وقالا إنهما لم يستطيعا أن يفهما الكلمات الفعلية ولكن راودهما شعور بأن "هنالك بعض أساسيات اللغة الفرنسية". وبالرغم من أن الغالبية العظمى لترجمات قائمة كلماته أكثر قربا إلى اللغة الفرنسية منها إلى اللغة السلتية إلا أنها

لا تنتمي إلى أي لغة منهما. وبدلا من ذلك كانت تلك الكلمات تشابه تصحيفا بلكنة فرنسية لطريقة نطق اللغة اللاتينية الكنسية.

وختاما فإن العجماء (ج) (تؤمن) بأن غروسّي أرجعها إلى مرحلة سابقة من مراحل حياتها في القرن التاسع عشر حينما كانت إمرأة أباشية تدعى كلوئي Chloe. وبالرغم من حث غروسّي لها على التحدث باللغة الأباشية فقد مانعت بشدة التحدث بتلك اللغة حينما كان يظهر عليها "عارض" كلوئي. وبدلا من ذلك تحدثت اللغة الإنجليزية الهجين وفي نهاية الأمر ما كان من غروسّي نفسه إلا أن جاراها وتحدث إليها باللغة الإنجليزية الهجين. ولكن ايمانه بحياتها السابقة التي وصفتها لم يتزعزع سواء جراء هذا أو جراء ردها على سؤاله الذي طرحه بخصوص كيفية معرفتها بأنها ولدت عام 1852م: "عندما تولد يكتب رئيس القبيلة على رأسك سنة ولادتك وفي أي شهر". كما أنه لم يأبه أيضا بزعمها بأنها وافتها المنية في عام 1873م عندما كانت في سن التاسعة والعشرين. وعندما عقد العزم على مواصلة جهوده لحملها على التحدث باللغة الأباشية أسفر ذلك بالفعل عن تلفظها ببضع كلمات. ولكن نظرا لأن تلك الكلمات حوت العديد من أصوات اللغة الإنجليزية التي لا توجد في اللغة الأباشية (ولاسيما صوت الراء) كما أنها خلت من جميع الأصوات غير الإنجليزية التي توجد في اللغة الأباشية، لذا فإن تلك الكلمات لم تساعد في البرهنة على عجمة (ج).

وعلى عكس ما فعل ستيفنسون فإني لم أجمع معلومات مفصلة عن خلفيات الأعجمِين اللغوية الذين ذكرهم غروسّي ولكن بإمكاننا التوصل لتخمينات مدروسة حولها: لا توجد أدلة كافية على أن العجماء (أ) قد درست لغات أجنبية رغم أنها تعلمت في مكان ما أن اللغة البلغارية بها صوت الـ [خ] كما يوجد بها عنقود صوتي شائع هو [št]. وعلى النقيض من ذلك فإن الأعجم (ب) لابد وأنه قد تعلم قليلا من اللغة الفرنسية (وإن لم يكن سوى بالقدر الذي يمكّنه من ترجمة كلمات من اللغة الإنجليزية إلى اللغة الفرنسية) كما ولابد أنه قد اطلع وبشكل مكثف على اللغة اللاتينية الكنسية ولكن ليس

كما تدرس اللغة اللاتينية في المدارس العامة في الولايات المتحدة. وكانت العجماء (ج) أقل تمرسا في اللغة من الأعجم (ب) وإلى حد ما أقل تمرسا من العجماء (أ) ولم تكن إنجليزيتها الهجين (كما استشفها) سوى فكرتها عن الطريقة التي ستتحدث بها إمرأة أباشية.

3. هل تعد هذه الحالات من الخوارق؟ في كل حالة من الحالات الواردة في "دراسات الحالة" ثمة زعم بأن هناك حاجة لتفسير خارق لتعليل الأداء الخارق للأعجمِين—أن لسانهم في واقع الأمر فيه عجمة الالتباس. لا ينبغي أن نقارن مزاعم غروسّي بشكل مباشر بمزاعم ستيفنسون فالأخير عالم بحاثة و غروسّي ليس كذلك كما أن ستيفنسون أخضع حالاته الثلاث الرئيسية لفحص دقيق ولكل ما خطر بباله من اختبارات بينما تقبل غروسّي حالاته على علاتها. ومع ذلك فإن حالات ستيفنسون المدروسة بعناية متهادية غير مقنعة من الناحية اللغوية مثلها مثل حالات غروسّي.

لا يبرز التدليس في حالات ستيفنسون كاعتبار هام ينبغي مراعاته بالقدر الذي يتصوره ستيفنسون. فشارادا التي كانت فصيحة نسبيا هي العجماء الوحيدة التي أظهرت ما يكفي من القدرة اللغوية لطرح فرضية اطلاعها على اللغة في أي وقت من أوقات حياتها. ولكن لا يمكن في حالتها أن يتم اختبار التفسير الخارق لعجمتها بشكل تام وذلك لسببين: أولهما: أن ستيفنسون لا يعطي تقريبا أي بيانات بنغالية (ولا كلام مسترسل باللغة البنغالية على الإطلاق)، وثانياً: أنها منذ صغرها كان لديها اهتمام باللغة البنغالية، وتوافرت لها فرص تعلمها. وعلاوة على ذلك فإن العلاقة المتينة التي تربط اللغات الهندية بعضها ببعض— بما فيها لغة (ا ه) الوطنية اللغة المهراتية ولغة شارادا الوطنية اللغة البنغالية فكلتيهما تنحدر من لغة تكاد تتماثل مع اللغة السنسكريتية —جعل من السهل جدا على (ا ه) أن تتعلم قليلا من اللغة البنغالية. ومما ينطوي على دلالة كبيرة أن البيانات الوحيدة لشارادا التي استشهد بها ستيفنسون كانت الأربع وعشرين كلمة "بنغالية" والتي حوت كلمات سنسكريتية أكثر مما حوته من كلمات بنغالية. وتماما كما بدى أن الأعجم (ب) قد استفاد من اللغات التي يبدو أنه اطلع عليها (اللغة الفرنسية

واللغة اللاتينية الكنسية) في بناء لغته "الغالية" بطريقة لا شعورية فإن شارادا بدت وكأنها تستغل لغتها السنسكريتية في بناء لغتها البنغالية بطريقة لا شعورية على الرغم من أنها قد تعلمت أيضا بعضا من اللغة البنغالية الحقيقية. ولقد فند الشخص الوحيد الذي تحقق من لغة شاراد البنغالية الادعاء القائل بأن شارادا عاشت في أوائل القرن التاسع عشر لأن اللغة البنغالية التي تعرفها هي لغة بنغالية حديثة. وكون ستيفنسون استطاع التحقق من بعض الإفادات التي قدمتها عن حياتها السابقة في البنغال لا يصلح دليل اثبات على الرغم من أن بعضا من إفاداتها تم التحقق منه دون البعض الآخر، كما أن وجود تطابق عرضي في إفاداتها يظل احتمالا واردا. والأهم من ذلك أن الحجة *اللغوية* القطعية— وحدها— هي التي يمكن أن تساعد في القطع بأن هذه حالة من حالات عجمة الالتباس.

وينطبق الشيء نفسه على حالتي ستيفنسون الأخريين فلم يستطع هنا سوى التحقق من عدد قليل من إفادات جنسن وغريتشن التي قدماها عن حياتيهما. وقد استند على افتراض التخلف والاضطرابات العقلية لتسويغ بعض الإفادات ذات الخطأ البين، وكذلك على افتراض عوامل معينة كالآباء المهاجرين ومثل الهجرة إلى مستعمرة السويد الجديدة علاوة على افتراضه الإِغْرَاب لتسويغ بعض ما جرى على لسانيهما من حوشي الكلام. ولكن ما أتى به جنسن وغريتشن من الغريب غير المأنوس من القول ربما كان لصيق الشبه بهذه الأنواع من القصص التي أوردها غروسّي على لسان الأعجمَين عن حياتيهما. فعلى سبيل المثال مخاوف غريتشن التي عفّى عليها الزمن من الاضطهاد الديني تتشابه مع إفادة السير غاي التي عفّى عليها الزمن بأنه والفرسان النورمان في القرن الرابع عشر كانوا رعايا الملك الإنجليزي ولكنهم يفضلون ملكا فرنسيا— رغم خسارة التاج البريطاني لنورماندي لأكثر من مئة وخمسين عاما مضت، في عام 1204م.

نجح ستيفنسون في حالتي جنسن وغريتشن في استبعاد إمكانية تلقي الأعجمَين لأي تعليم منتظم في اللغة السويدية أو اللغة الألمانية في حياتيهما الراهنة. ولكن شبهة

التدليس المتعمد في هاتين الحالتين قد انتفت عنهما بالفعل؛ وذلك بسبب رداءة نوعية الأداء اللغوي، فالشخص الذي تلقى بصورة خفية تعليما في اللغة السويدية أو اللغة الألمانية يعرف بالتأكيد أكثر مما يعرفه هاذين الأعجمَين. لقد حاول ستيفنسون أن يورد حججا لغوية قوية لمفهوم عجمة الالتباس التجاوبية محتجا في غير موضع من كتاباته بأن فهم الأسئلة والإجابة عليها يتطلب ممارسة عملية مكثفة وليس مجرد علاقة عابرة بلغة أجنبية (انظر على سبيل المثال 1974، 75). واعتراضي هو أن اختباره غير كاف. فقائمة مفردات كتلك التي استنبطها غروسّي بطلب مني تتيح حججا أفضل بكثير للتحقق من الإلمام بالمفردات كما أنه يمكن وضع اختبارات لغوية أخرى قطعية للتحقق من الإلمام بالقواعد النحوية. والاختبارات الوافية لن تشمل إجراء مقابلات منفلتة كتلك التي استند عليها ستيفنسون.

وستيفنسون مخطئ في اعتقاده بأنه ليس من المتوقع أن يخمن أعجم ما سؤال من يحاوره، وأن يرد عليه وفق الحد الأدنى من مفردات اللغة الأجنبية وبشكل يكاد يغيب عنه الالتزام بقواعدها النحوية. فأولا: في التفريغ النصي لكل من جنسن وغريتشن غالبا ما يطرح عليهما المتحاورون معهما أسئلة (نعم) و (لا) —أي أسئلة تكون الإجابات الملائمة عليها مجرد "نعم" أو "لا". مثل هذه الأسئلة تنتهي في اللغة السويدية أو اللغة الألمانية كما هو الحال في اللغة الإنجليزية بتنغيم صاعد ومن ثم يتسنى التعرف عليها كأسئلة (نعم) و (لا) سواء فهم الأعجم المحتوى الفعلي للسؤال أم لم يفهمه. فما على الأعجم حينئذ سوى معرفة الكلمات المقابلة لـ "نعم" و "لا" لكي يجيب بشكل مفهوم وحسب مقتضى الحال. كما أن إجابات الأسئلة ستكون صائبة بوجه عام بحكم طبيعتها؛ لأن الأسئلة تدور حول حياة الأعجمَين الغابرة، ومن المتوقع أن يكونا— وحدهما—أعرف بشأنها.

ثانياً: تم في كلتا الحالتين طرح العديد من الأسئلة الموجودة في التفريغ النصي باللغة الإنجليزية. لا يحتاج فهم تلك الأسئلة إلى أي إلمام باللغة السويدية أو اللغة الألمانية على الإطلاق؛ لذا فإن المذكورين لم تداخل لسانيهما عجمة الالتباس التجاوبية كما

عرفها ستيفنسون— حتى حين يطرح المتحاور السؤال أولا باللغة السويدية ومن ثم يكرره باللغة الإنجليزية مثلما يحدث أحيانا في التفريغ النصي لجنسن.

وبطبيعة الحال فإن المتحاورين يطرحون بالفعل أسئلة أخرى بخلاف أسئلة (نعم) و (لا) على جنسن باللغة السويدية وعلى غريتشن باللغة الألمانية. وتتسم اجاباتهما على تلك الأسئلة بالتذبذب في الأداء. فعلى سبيل المثال يجيب جنسن "زوجتي" على سؤال حول ماذا سيدفع لبعض الأشياء في السوق، وعندما سئلت غريتشن ما الذي تتناوله في الفطور ("بعد النوم") تجيب "Bettzimmer" —ترجمة حرفية مأخوذة من الكلمة الإنجليزية "bed-room" "غرفة النوم" لكنها لا تستخدم الكلمة الألمانية لـ "غرفة النوم" وهي Schlafzimmer (وتعني حرفيا "sleep-room" "غرفة النوم"). إن معرفة المذكورين الطفيفة للغات أجنبية في حياتهما الراهنة متسقة مع مستوى الفهم الذي أبدياه أثناء التحاور معهما. لدى تي إي القليل من الخبرة في اللغة السويدية كما أن العديد من الكلمات السويدية الستين التي استخدمها جنسن بشكل عفوي شديدة الشبه بكلمات في اللغة الفرنسية واللغة الإنجليزية واللغة اليديدية أو اللغة الروسية وكلها قد درستها تي إي أو سمعتها في المنزل عندما كانت طفلة. كان لدى السيدة جاي القليل من الخبرة في اللغة الألمانية، والعديد من الكلمات التي استخدمتها غريتشن لها نظائر في اللغة الإنجليزية. وكما ذكرنا آنفا فإن جميع الأعجمِين الثلاثة الذين ذكرهم ستيفنسون كان لديهم أخطاء في النطق كما اتسم كلامهم بلكنة أجنبية. فشارادا قد ارتكبت أخطاء نحوية حين تحدثت باللغة البنغالية كما اتسم كلام جنسن وغريتشن باقتضاب شديد حتى إن أقوالهما حوت أنواعا قليلة جدا من التراكيب النحوية.

لقد طرح ستيفنسون عدة تفسيرات لجوانب القصور التي عانى منها أعجماه في اللغة السويدية واللغة الألمانية. فعلى سبيل المثال فإن بعض الأخطاء في لغة جنسن السويدية تعزى إلى امتزاجها باللغة النرويجية. ويستند ستيفنسون على افتراض أن غريتشن "كانت نَغْلَة تعاني من الإهمال، وقد أمضت معظم وقتها في المطبخ مع خادمة"

— دون وجود ما يعزز ذلك فيما حدثت به عن حياتها، وأن لغتها الألمانية المعيبة ناجمة عن حقيقة أن الخادمة لم يكن لها حظ من التعليم (1984، 46). ولكن نظرا لأن الأشخاص غير المتعلمين لديهم حصيلة مفردات بها آلاف الكلمات وقواعد نحوية تتسم بطابع تعقيد لغوي مماثل للاتصال الكلامي الذي يستخدمه الشخص المتعلم لذا فإن هذا التفسير لا ينبغي التعويل عليه. وهنالك اقتراحات أكثر وجاهة (وذلك إذا ما سلمنا بحجج ستيفنسون بأن عجمتهم تعد من الخوارق) يمكن الاستناد إليها منها أن ظهور "العوارض" الأجنبية لا سيما عجمتها كان على استحياء شديد و/أو "أن الصعوبات الجمة التي تكتنف التواصل الروحي" قد أثرت على الأداء اللغوي (1984، 69). ومما يؤسف له أن هذه التفسيرات غير قابلة للاختبار العلمي.

وعلى الرغم من أداء الأعجمَين المثير للجدل فإن ستيفنسون على قناعة راسخة بأن مقدرتهما اللغوية في اللغة السويدية وفي اللغة الألمانية تستوجب تفسيرا خارقا. ونظرا لأن ما أبدياه من إلمام فعلي باللغات الأجنبية يقتصر على مئة أو مئتي كلمة وشيء من القواعد النحوية— والذي من المؤكد أن بإمكان المرء أن يتعلمه دون إجهاد الذاكرة بأدنى قدر من الاطلاع على اللغة—فإن اعتقاده يستند بشكل جلي على الصبغة التجاوبية للأداء اللغوي، فهما يجيبان بالفعل من وقت إلى آخر على الأسئلة بشكل موفق بما في ذلك الأسئلة التي تتطلب إجابة غير الإجابة بـ"نعم" أو "لا". (لقد أحصيت لغريتشن ثمان وعشرين إجابة كتلك الإجابات بما في ذلك المكررة من أصل ما مجموعه مئة وسؤالين في التفريغ النصي، انظر توماسون 1987و 1988 لمناقشة تلك الحالة). هل بالإمكان تعليل الإجابات الموفقة، المنثورة بين يدي تلك الإجابات غير الموفقة على الإطلاق، بشكل طبيعي بحيث لا يلزم تقديم تفسير خارق لها؟

والإجابة هي نعم فالتفسير يكمن في قدرتهما على استخدام قرائن سياق المحادثة للوصول إلى تخمينات مدروسة حول نيات المتحاورين معهما. وهذه ليست موهبة نادرة بل ملكة يتمتع بها جميع مستخدمي اللغة، وليس في الأمر متعلم أو أمي. بالتأكيد أن تي

إي والسيدة جاي علمتا بأنهما يتم سؤالهما عن حياتهما السابقتين وأن الأسئلة تنصب في المقام الأول على معلومات تفصيلية عن حياتيهما اليومية. وفي كلتا الحالتين اتضح أسلوب الاستجواب من الأسئلة التي طرحت عليهما باللغة الإنجليزية. لم يكن إطار المحادثة مقيدا إلى حد بعيد فحسب بل كان المتحاورون أيضا يستخدمون—بصفة عامة— جملا ذات تراكيب سهلة، وغالبا ما يكررون أسئلتهم مما يُسَهْل عمليات التخمين إذا لم يفهم الأعجمان— في الواقع— السؤال المطروح. بإمكان أي شخص سافر إلى بلد أجنبي تقديم أمثلة على تخمينات ناجحة من هذا النوع. ويمكن أيضا الوقوف على بعض الأمثلة في المحاكم الأمريكية حيث يقرر القضاة بعد طرح بعض الأسئلة البسيطة (مثل "ما أسمك؟" سؤال طرح على كلا من جنسن وغريتشن)، بأن المدعى عليهم الذين لا يتحدثون اللغة الإنجليزية كأبنائها يعرفونها جيدا بما فيه الكفاية لمتابعة إجراءات المحكمة دون مساعدة من مترجم فوري— ويحدث ذلك في العديد من الحالات حتى عندما يعرف المدعى عليهم اللغة الإنجليزية بالقدر الذي طالته يدا جنسن وغريتشن من اللغة السويدية واللغة الألمانية. وبتعبير آخر فإن سرعة الاستجابة عند جنسن وغريتشن متدنية للغاية لإقناع عالم لغويات بأنها تعكس قدرا كبيرا من تعلم اللغة. وعلى النقيض مما يعتقده ستيفنسون لم يظهر الأعجمَين أي إتقان للغات غير معرفتهما لكلمات وسمات نحوية لا يتجاوز عددها عدد أصابع اليد. وينبغي ألا يغيب عن بالنا—أيضا، في هذا المقام، — أن معرفتهما العملية في اللغة السويدية وفي اللغة الألمانية— قدرتهما على فهم ما يقال لهما— إن وجدت فهي أضعف من إلمامهما الفعلي بالكلمات والجمل على أن المتحدثين الحقيقيين بلغات حقيقية، بما في ذلك متعلمي اللغة كلغة ثانية، تفوق معرفتهم العملية إلمامهم الفعلي باللغة.

إن معرفة الأعجمِين الستة بالجرس الصوتي للغات ذات الصلة يعد التفسير الأكثر قبولا لأدائهم اللغوي—وهي معرفة تتدرج تصاعديا فمنهم من ليس له منها سوى النزر اليسير كما في حالة العجماوين (أ) و (ج) ثم معرفة ضئيلة (ومغلوطة) كما في حالة

الأعجم (ب) إلى أن تصل إلى معرفة تقتصر على مئة أو مئتي كلمة وشيء من القواعد النحوية لكل من جنسن وغريتشن لترتقي إلى معرفة واسعة كمعرفة شارادا—كم أنهم سخروا كل ما يعرفونه في صياغة اللغة التي اعتقدوا هم أنها اللغة التي تحدثوا بها في حياة سابقة. إن مفهوم عجمة الالتباس التجاوبية كما يعرفه ستيفنسون معيار يشوبه عوار لكونه لا يصلح للتدليل على الإلمام بلغة ما على الأقل عند المستوى المتدني للفهم الذي أبداه جنسن وأبدته غريتشن على حدٍ سواء. ولذلك على الرغم من أن المرء يمكنه أن يتفق بكل أريحية مع ما ذهب إليه ستيفنسون من أن توفر حالة حقيقية لعجمة الالتباس سوف يكون حجة معتبرة لظاهرة خارقة إلا أن القول الفصل في المسألة هو أنه لم تسق حجج تؤيد حالة واحدة لتلك العجمة حتى الآن.

ثبت المراجع

Richet, C. "Xénoglossie: Lécriture automatique en langues étrangères." *Proceedings Society for Psychical Research* 19 (1905-1907): 162-94.

Samarin, William J. *Tongues of Men and Angels: The Religious Language of Pentecostalism*. New York: Macmillan, 1972.

Stevenson, Ian. *Xenoglossy: A Review and Report of a Case. (Proceedings of the American Society for Psychical Research 31.)* New York: American Society for Psychical Research, 1974. (Republished, Charlottesville: University Press of Virginia, 1974.)

_____. *Unlearned Language: New Studies in Xenoglossy*. Charlottesville: University Press of Virginia, 1984.

Thomason, Sarah G. "Do You Remember Your Previous Life's Language in Your Current Incarnation?" American Speech 59 (1984): 340-50.

_____. "Past Tongues Remembered?" *Skeptical Inquirer* 11 (1987): 367-75.

_____. "Response to "Response to 'Past Tongues Remembered.' " *Skeptical Inquirer* 12 (1988): 323-24.

_____. "Entities' in the Linguistic Minefield." *Skeptical Inquirer* 13 (1989): 391-96.

البحث المترجم مستل من:

_____." Xenoglossy". In Gordon Stein, ed., *The Encyclopedia of the Paranormal* (Prometheus Books), 835-844, 1996. Available at: http://www-personal.umich.edu/~thomason/papers/xenogl.pdf .